الأسرة بين الإستقرار والتكوين وفق المنظور الإسلامي

The family between stability and formation according to the Islamic perspective

أ. م. د. عمار باسم صالح
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد

Dr. Ammar Bassem Saleh
College of Islamic Sciences / University of Baghdad

Amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq
07904219659

الملخص

إن من اهم الامور التي تبحث عنها جميع المجتمعات في العالم وهو استقرار الاسرة التعايش بين مكونات المجتمع.

حاول البحث إبراز ان التنظيم هو وظيفة ادارية وانسانية ترتكز على التعاون بين افراد المجتمع باختلاف اصنافهم.

يؤكد البحث ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء وان للزوج والزوجة والاولاد والوالدين كل على الاخر حقوق وواجبات، والاصل في ذلك القران والسنة النبوية، وقد أبرز البحث جملة من الحقائق بعد أن تمت معالجة المقدمات الممهدة لها؛ اذ وضح البحث أهمية القيام بواجب الإصلاح والتأديب يكون بإصلاح الزوج لنفسه اولا بتقويم سلوكه والقيام بواجباته الدينية والقانونية، ثم بعد ذلك إرشاد وإصلاح الزوجة، ثم تأديب وتهذيب وتربية الأولاد.

ان المحافظة على النظام الصحي للأسرة هو من أهداف الأسرة المسلمة وتكوينها صيانة الشباب وقوّتهم من أن يستنزفها الزنا واللواط والعادات السرية الضارة، وما يترتب عليها من انهيارات جسمانية ومعنوية، كما واكد البحث أن مع وجود نظام المساواة بين الرجل والمرأة في الانسانية والعبادة، ولكن هناك بعض الفوارق التي ميزت الرجل على المرأة في امور كالشهادة وغيرها.

***

Summary:

One of the most important things that all societies in the world are looking for is the stability of the family and coexistence among the components of society.

The research tried to highlight that organization is an administrative and human function based on cooperation between members of society of different types..

The research confirms that coexistence is the will of the people of monotheistic religions and different civilizations to work for the sake of peace and security in the world, and for humanity to live in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with the good that pervades all human beings without exception, and that the husband, wife, children and parents have rights and duties on the other The origin of that is the Qur'an and the Prophet's Sunnah. The research highlighted a number of facts after the introductions that paved the way for them were addressed. The research explained the importance of performing the duty of reform and discipline, which is to reform the husband for himself first by correcting his behavior and carrying out his religious and legal duties, then guiding and reforming the wife, then disciplining, disciplining and raising children.

Preserving the health system of the family is one of the goals of the Muslim family and its formation, to preserve the youth and their strength from being drained by adultery, sodomy and harmful secret habits, and the consequent physical and moral collapses, and the research confirmed that with the existence of a system of equality between men and women in humanity and worship, but there are some The differences that distinguished the man over the woman in matters such as martyrdom and others.

***

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين وصحبه الميامين.

وبعد؛ فالحديث عن الدور الأسري وايجابياته الحفاظ على تماسك الاسرة من الضياع بات أمرا من الوضوح بمكان؛ إذ الملاحظ على المجتمع المسلم الملتزم خلوه من التفكك أو قلتها فيه وما ذلك إلا لوجود عدة عوامل أبرزها التربية على القيم الروحية المستمدة من وحي الكتاب والسنة والتي حضت على التخلق بالأخلاق الحميدة الداعية إلى إحياء الرقيب الداخلي والوازع الإنساني في التعامل مع ثوابت الحياة ومتغيراتها في بناء الشخصية السوية والمستقيمة.

يبرز الدور الأسري لكي يكون عاملا فعالا في التأسيس للأخلاق الحميدة التي بدورها تؤسس مرتكزات التصرفات الإنسانية من الأفراد والجماعات، وتتضح أهمية هذا الدور وتتأكد حينما نستقرئ النماذج التي تفتقر إلى هذا الدور في المجتمعات الغربية وكيف أسهم انعدام هذا الدور في شيوع الانحلال وتبلور الأفكار المتطرفة والغالية.

لهذه الأسباب أو بعضها حاولت الكتابة في هذا الموضوع مبرزا اهم مقومات ثبات الاسرة وفق المنظور الاسلامي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه: على مقدمة و اربعة مطالب وخاتمة. تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، بينما تناولت في المطلب الأول تحديد مفاهيم عنوان البحث، أما المطلب الثاني تناولت فيه مقومات الاسرة، واما المطلب الثالث تكلمت فيه عن كيفية تكوين الاسرة، والمطلب الرابع تم التطرق الى اهم العوامل لاستقرار الاسرة وفق المنظور الاسلامي، ثم ختم هذا البحث بخاتمة أوجزت فيها أهمَّ ما توصلت إليه من نتائج.

وأسأل الله أن أكون وفقت في عرض مباحث الموضوع ورسم صورته بصورة صحيحة فإن أصبت فهذا محض فضل من الله وإن كان غير ذلك فهو مني ومن الشيطان والله ورسوله براء منه.

***

المطلب الاول: تحديد المفاهيم

من الضروري جدا تحديد المراد من الأسرة وما اشتمل عليه من مدلولات أخرى كمصطلح العائلة، وقد تم عقد هذا المطلب للدلالة على ذلك.

أولا: مفهوم الاسرة

أ: الأسرة لغة :

تكاد جميع المصادر اللغوية تتفق على المعنى المراد من مصطلح الأسرة وأنها كلمة تشير إلى معاني القوة والحصانة والدرع الواقي، يقول ابن فارس: (أسر: الهمزة والسين والراء، أصل واحد، وقياس مطرد. قال الله تعالى: {وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} يقال أراد الخلق، وأسرة الرجل، رهطه لأنه يتقوى بهم)[١].

وأما العائلة في اللغة: فقد جاء في باب (عول) وعيال الرجل وعيله: الذين يتكفل بهم وقد يكون العيل واحداً والجمع عالة. ورجل معيل: ذو عيال. ويقال: عنده كذا وكذا عيلاً أي كذا وكذا نفساً من العيال. وواحد العيال عيل. ويقال: عال يعيل عيلاً وعيلة وعيولاً وعولاً ومعيلاً[٢]. قال الله تعالى {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى}[٣].

ب: الأسرة إصطلاحاً:

وفي الاصطلاح فقد جاء بمعنى واحد كل من المصطلحين فقد ورد في كتب الاجتماع والفلسفة حول هذين الأصلين منها ما هو:

أن الأسرة العائلة (نواة المجتمع التي تقوم على الزواج والصلة الحميمة، أي العلاقات بين الزوج والزوجة والآباء والأبناء والإخوة والأخوات. وتتميز العائلة بالعمليات المادية والروحية على السواء، فالأولى تتضمن العلاقات الحيوية والاقتصادية الاستهلاكية، والثانية تتضمن الأخلاقية والنفسية والعائلة مقولة تاريخية)[٤].

وذكر جميل صليبا في معجمه حول الأسرة أو الزواج قوله(هو الاقتران الشرعي بين الرجل والمرأة لتكوين أسرة جديدة، تختلف شروط عقده وفسخه والحقوق والواجبات المترتبة عليه، باختلاف الجماعات، فأما أن يكون للرجل الواحد امرأة واحدة، أو عدة نساء، وليس هو وسيلة لإشباع الغريزة الجنسية، إنما هو عقد اجتماعي لتكوين أسرة يشعر فيها كل من الرجل والمرأة بالطمأنينة الروحية)[٥].

وفي الموسوعة العربية الميسرة فصل (أسرة) قوله: وهي التي تتكون فيه أسرة الشخص من ذوي قرباه وزوجه، وروابط الأسرة مصدر لبعض الحقوق والواجبات المالية وغير المالية[٦].

وذكرت الموسوعة أيضاً حول الزواج والأسرة وتكوين العائلة معاني مختلفة باختلاف الأعراف

(١) احمد بن فارس بن زكريا عن أبو الحسين، (١/ ١٠٧) .
(٢) لسان العرب، (٤٨٥/١١-٤٨٨).
(٣) سورة الضحى، الآية (٨) .

(٤) الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء، ترجمة سمير كرم، دار الطلبة، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص٢٩٠ .
(٥) ينظر: جميل صلبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (٦٤١/١).
(٦) الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، لبنان، بيروت، ١٩٨٧، (١٤٧/١) .

والمجتمعات ما نصه: (علاقة يقرها العرف والدين بين شخصين أو أكثر من جنسين مختلفين في شكل زوج أو أزواج وزوجة نتيجة لهذه العلاقة يعتبرون أبناء شرعيين لكلا الطرفين، وتتخذ هذه العلاقة أشكالاً مختلفة باختلاف عدد الأشخاص الداخلين فيها تبعاً لنوع الصلة التي تقوم بين الجماعتين اللتين ينتمي الطرفان إليها)[١].

وورد لدى بعض الباحثين في مؤتمر الأسرة أن الأسرة والعائلة لم يردا في القرآن الكريم بالمعنى المتعارف عليه الآن، في حين ورد لفظ الأسر والأسرى والاسارى مرة واحدة في سورة الإنسان آية ٢٨ {نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} بمعنى خلقهم حسب قول المفسرين.

والعائلة ترد في القرآن لمعنى الفقر {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} [٢]. {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ}[٣].

في حين لا ترد لفظتا الأسرة والعائلة في الحديث الشريف إلا بالنسبة لعيال مثل قوله ﷺ {الخلق كلهم عيال الله، أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله}[٤].

وقوله ﷺ: {من كان له عيال ولم ينههم عن المنكرات والمحرمات}[٥].

أما من حيث ورودها في كتب الفقه فتقرأ (البر بالأهل والعيال). والحقيقة أن القرآن والحديث ركزت على لفظ (الأهل) وعلى معنى الزواج والتزويج للدلالة على معنى الأسرة والعائلة. فوردت لفظة أهل(١٢٧) مرة بتنوع دلالتها، مثل قوله تعالى:

١. {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ}[٦].
٢. {أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}[٧].
٣. {إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً}[٨].
٤. {فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا}[٩].
٥. {إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ}[١٠].

وفي السنة يرد لفظ (أهل) للدلالة على الزوجة أو الزواج أو الأزواج والزوجات والأبناء والأقربين، كما في قوله ﷺ {خيركم خيركم لأهله}[١١] و {اتخذوا الأهل فأنه أرزق لكم}[١٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص٩٣٢.
(٢) سورة الضحى، الآية(٨).
(٣) سورة التوبة، الآية(٢٨).
(٤) أورده الهيثمي علي بن أبي بكر ت٨٠٧، مجمع الزوائد ومتبع الفوائد، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ، (١٩١/٨).
(٥) المصدر نفسه، (١٩٢/٨).
(٦) سورة آل عمران، جزء من الآية (٦٤).
(٧) سورة المدثر، جزء من الآية (٥٦).
(٨) سورة النمل، من الآية(٧).
(٩) سورة النساء، من الآية (٣٥).
(١٠) سورة العنكبوت،من الآية (٣٣).
(١١) الحديث، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، ت٣٥٤، صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٩، (ب ط)، ص٤٨٤.
(١٢) الحديث لم يرد في الصحاح والسنن.

فالزواج أو الأسرة والأهل والعائلة له مقام في حق الإنسانية بتعظيم الله الخالق للبشرية كلها[١].

من هنا نفهم أن هذه الألفاظ كلها جاءت لتثبت حقاً مشتركاً بين طرفين أو أكثر يقوم على المحبة يمكن أن يخلق جيلاً وأمة وحضارة لها عاداتها ولها مبادؤها على اختلاف أجناسها وبقاعها ولكن الأعظم منها هو ما وافق مبادئ السماء.

وتعريف الأسرة عندهم بأنها تلك الوحدة الاجتماعية الأساسية التي بدونها لا تقوم للمجتمع قائمة بدونهما الاسرة الى جانب كونها بؤرة قيام المجتمع فهي ايضا من عوامل استمراره لانها تمده دائما بالمزيد من الاعضاء الذين يشكلون مصدر قوته او العكس [٢]

فمن المنظور السوسيولوجي تشير كلمة (أسرة) الى معيشة الرجل والمرأة معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كرعاية الأطفال وتربيتهم [٣] .

فأساس قيام الأسرة هو الزواج فيشكل بذلك الرجل والمرأة جزءان متكاملان على أساس العلاقة بينهما المودة والرحمة والسكينة وهذا لقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء : ١] .

كما يعرفها القاموس الاجتماعي على أنها: (تلك العلاقة التي تربط بين رجل و امراة او اكثر معا بروابط القرابة أو علاقات وثيقة أخرى بحيث يشعر الافراد البالغين فيها بمسؤوليتهم نحو الأطفال سواء كان هؤلاء الاطفال ابنائهم الطبيعيين او ابنائهم بالتبني)[٤] .

والناظر لما سبق يجد تقارباً بين التعريف اللغوي والاصطلاحي، فكلاهما يشير الى منظومة اجتماعية متماسكة تجتمع بروابط الأم والأب .

ثانيا : مفهوم فقه الأسرة مركباً :

لم أجد فيما بين يدي من المراجع والمصادر على تعريف مركب لتنظيم الأسرة عند الفقهاء المتقدمين وإن كانت موضوعات هذا المصطلح موجود و معروفة عندهم، والذي يظهر أن هذا المصطلح النحوي انما هو مصطلح معاصر، كما أنه اصطلحوا كذلك على معنى آخر قريب لمصطلح تنظيم الأسرة وهو مصطلح : الأحوال الشخصية وهو كما عرفه بعضهم بأنه : الأحكام التي تتصل بعلاقة الإنسان بأسرته بدءاً بالزواج وانتهاء بتصفية التركات

(١) ينظر: كتاب(مؤتمر الأسرة الأول) دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

(٢) ينظر : بناء المجتمع ونظمه، د. اسماعيل حسن عبد الباري، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣ م، ص ١٧٢ .

(٣) ينظر : اسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، السيد رمضان، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩ م، ص٢٥ .

(٤) ينظر : نظرة في علم الاجتماع المعاصر، عبد الحميد الخطيب، مطبعة النيل، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢ م، ص٣٥٨ .

أو الميراث [١] .

والمتتبع لما كُتب في موضوعات الأحوال الشخصية يجد أن هذه الموضوعات هي أحكام الزواج والطلاق وما يترتب عليهما من الآثار والنسب والحضانة والرضاع والنفقات بعمومها الواجب على الأبناء والزوجة والأقارب واحكام الولايات والوصايا وأحكام الميراث .

المطلب الثاني : مقومات الأسرة

تقوم الأسرة على المودة والرحمة والاعتراف بالحقوق وأداء الواجبات و القيام بواجب الإصلاح والتأديب، ويمكن أن نبين ذلك من خلال الأمور الآتية :

اولاً: المودة والرحمة : قال الله تعالى ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الرُّوم: ٢١] فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الرُّوم : ٢١] .

أن الرحمة بين الزوجين هو منبع التفاهم والانسجام بين أفراد الأسرة فهذا يلزم منه وجود الاحترام المتبادل، وكذلك المعاشرة بالمعروف وحسن المعاملة والتعاون والتشاور، ولو دققنا جيدا في مضمون هذه المفاهيم لوجدنا أنها شرح فقط لالتزام المساكنة الواجبة بين الزوجين وذلك هو أساس بقاء لأسرة مستقرة وقال ابن عباس (رضي الله عنه) : (المودة حب الرجل المرأة و الرحمة رحمته أياها أن يصيبها بسوء)[٢] .

ويتحدث أمير المؤمنين حول سيدة نساء العالمين: «فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمرٍ حتى قبضها الله عزَّ وجلَّ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الغموم والأحزان بنظري إليها.[٣]

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) ((من حسن بره بأهل بيته مد الله في عمره)) [٤]، وهذا الحديث فيه أثر كبير في استحباب المعاشرة الطيبة والمودة والرحمة بين رب الأسرة وأهل بيته وجعل ذلك من أسباب إطالة العمر .

ثانيا : مبدأ الحقوق وأداء الواجبات في الاسرة :

إن الأساس الثاني الذي ينبغي أن تتحلى به الأسرة هو أن يعترف كل واحد من أفرادها ما له وما عليه، فالزوجة يجب عليها طاعة زوجها في المعروف وعليها حفظه في نفسها وماله لقوله تعالى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النِّسَاء : ٣٤]، والزوج عليه

(١) ينظر : الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، سوريا، دمشق، ط٤، ١/ ٣٣ .

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب المصري، ط١، ١٩٥٢ م، (١٤ /١٣) .

(٣) مناقب الخوارزمي، ص٣٥٤.

(٤) الكافي، ٢ / ١٠٥ .

القيام بحقوق زوجته في النفقة والكسوة وغيرها، ولذلك بينت الشريعة الإسلامية هذه الحقوق وفي ذلك قال الرسول ﷺ: (ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً: فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون) [١] .

سئل رسول اللهِ ﷺ: (أيُّ النساءِ خيرٌ ؟ قال : التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أمر، ولا تخالفُه في نفسِها ومالها بما يكره) [٢] .

وروي عنه ﷺ: (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق)[٣] .

قال ابن حجر العسقلاني: «قرن حق الزوج على الزوجة بحق الله، فإذا كفرت المرأة حق زوجها وقد بلغ حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلا على تهاونها بحق الله فلذلك يطلق عليه الكفر وهو لا يخرج من الملة»[٤]، أي أن عصيانها لزوجها لا يصل إلى درجة الكفر بالله تعالى .

ثالثاً : القيام بواجب الإصلاح والتأديب :

إن البداية تكون بإصلاح الزوج لنفسه وتقويم سلوكه و القيام بواجباته الدينية والقانونية، ثم بعد ذلك إرشاد وإصلاح الزوجة، ثم تأديب وتهذيب وتربية الأولاد لقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التَّحۡرِيم : ٦] .

وفيه مسألة واحدة وهي الأمر في وقاية الإنسان نفسه واهله من النار ثم قال فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية [٥] .

و قال الرسول ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ)[٦]

ووجه الدلالة: من الآية الكريمة والحديث الشريف، أن الشريعة الإسلامية توصي بضرورة الحفاظ على الأسرة وواجب توجيه أفرادها إلى ما يصلح شأنها ديناً ودنياً . فالآية السابقة جاءت بصيغة الأمر (قوا) من الوقاية في حين استخدم الرسول الكريم ﷺ مصطلح المسؤولية التي تقع على رب العائلة، إن تهاون وتقاعس عن أداء ما يجب عليه الالتزام به إزاء أفراد الأسرة زوجة وأولاد .

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التَّحۡرِيم : ٦]، كيف نقي

(١) سنن الترمذي، برقم ١١٦٣ باب ما جاء الرجل في حق المرآة، ٤٥٩/٣، حديث حسن صحيح

(٢) مسند الامام احمد، برقم ٧٤٢١، ٣٨٣/١٢ .

(٣) سنن ابي داود، برقم ٢١٤٠، باب حق الزوج على زوجته، ٢٤٤/٢، حديث صحيح .

(٤) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مكتب الصفا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، (١ /١٠٦).

(٥) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج ٩، (١٨ / ١٢٧).

(٦) موطأ الأمام مالك، ١٠٦/١ .

أهلنا، تأمرونهم بما يحب وتنهونهم عما يكرهه الله [١] .

المطلب الثالث: تكوين الأسرة

وهناك عدة اسباب تتمثل في تكوين الاسرة وفق المنظور القرآني ندرجها في الآتي:

أولاً: الحفاظ على الدين

ويتلخص هذا السبب في هدف عظيم هو عبادة الله سبحانه وتعالى في جو أسري، إذ يعد الهدف الأسمى للتربية الإسلامية، لقوله تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[٢]، ((إنها العبادة... عبادة في الزواج، وعبادة في المباشرة والأنسال... عبادة الله في كل حركة وفي كل خطوة))، جاء عن ابن عباس في تفسير الآية : (ما خلقت الجِنّ والإنس إلا لعبادتنا، والتذلل لأمرنا)[٣] .

إن تكوين الأسرة أمر ديني أمر به الإسلام حتى يتم التقاء الرجل والمرأة في صورة مشروعة، وهدف تكوين الأسرة هو عبادة الله إذا رغب الإنسان في النكاح وطالب به، ولقد حثّ الرسول ﷺ وأمر بالزواج وتكوين الأسرة، فقد قال لنا رسول الله ﷺ : (يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)[٤] .

الإسلام يعطي الأجر في أخص خصوصيات النكاح وهي الجماع، فهو يأمر الرجل بأداء حق زوجته، ويغريه على أداء هذا الحق، حيث يخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الرجل له على أداء هذا الواجب أجر، عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون بفضول أموالهم، قال: (أوليس قد جعل الله لكم ما تصّدّقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة)، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال : (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)[٥] .

والإسلام شرع النفقات، وحدّد مَن تجب عليهم، وألزمهم بها تقربًا إلى الله تعالى فإذ لم يستجيبوا تكون قضاءً عليهم، والقضاء لا فكاك من أحكامه جاء عن رسول الله ﷺ قال : (ما كسب الرجل كسبًا أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه، فهو صدقة)[٦] .

والله سبحانه وتعالى وصف الرسل الذين أرسلهم ومدحهم بأن لهم أزواجًا وذرية في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً

(١) الكافي، ٥ / ٦٢ .
(٢) سورة الذاريات : الاية ٥٦
(٣) تفسير الطبري ٤٢٥/٢٢
(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٠٦٦، باب من لم يستطع الباءة فليصم، ٣/٧ .
(٥) صحيح مسلم، برقم ٥٣، ٦٩٧/٢ .
(٦) سنن ابن ماجه، باب الحث على المكاسب، برقم ٢١٣٨، ٧٢٣/٢ .

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ [الرَّعْد : ٣٨] ، كما مدح عباده الصالحين وأولياءه بالسؤالٍ في الدعاء بأن يَهَب لهم أزواجًا وذرية، تقر بها الأعين بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفُرْقَان : ٧٤] ، يهدف الإسلام من تكوين الأسرة إلى تكوين المجتمع المسلم وترابطه، وتوثيق عُرَى الأخوّة بين أفراده وجماعاته وشعوبه، بالمصاهرة والنسب، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحُجُرَات : ١٣].

وفي سبيل هذا الهدف اعتبر المسلمون أمة واحدة دون أي تفرقة في الجنس أو اللغة، فأجاز الزواج بين العربي والعجمي، وبين الأسود والأبيض، وبين الشرقي والغربي، ولعل الحكمة من زواج النبي ﷺ من قبائلَ مختلفة هي الربط فعلاً بين القبائل والتآلف بينها، وقد أمر الإسلام بالتعارف على اختلاف قبائلهم وأجناسهم[١] .

والأسرة لها دور عظيم في تحقيق هذا الهدف، لِمَا يترتب على تكوينها من قيام علائق جديدة بطرق النسب والمصاهرة، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ [الفُرْقَان : ٥٤].

فالإنسان يُبتدأ في أول الأمر نطفة، منها يتخلّق الجنين، فولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرا، ثم يصير له أصهار وأخوات وقرابات، إنها قدرة الخالق المدبر[٢] .

ثانياً : الحفاظ على التكوين الاقتصادي

إن من أهداف تكوينٍ الأسرة الهدف الاقتصادي، والذي له قيمةٌ في حياة الأفراد، وله فاعلية في كيان الأمة الإسلامية، ومن حياة الأفراد نجد عدم أثر تكوين الأسرة في متابعة حياة العازّبين، فهم في حالة فوضى من العيش، والفقر الذي يلازم البعض منهم لما تتطلب حياة العزوبية من تكاليف مضاعفة من المال في كل شيء من مأكل، ومشرب، أو ملبس، أو مسكن، أو غير ذلك من أبواب المعيشة[٣] .

ولقد أمر الإسلام بالنكاح لما فيه من الوعد بالغنى لمن يتزوّج، قال الله تعالى ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ [النُّور : ٣٢] .

حث الرسول ﷺ على الزواج وبناء الأمر، فأمر الرسول ﷺ باتخاذ زوجة لمن يعمل، لما في ذلك من الاطمئنان والاستقرار، ولما في ذلك من الفاعلية الاقتصادية للأمة لزيادة الإنتاج وقلة الاستهلاك[٤] .

---

(١) علم الاخلاق الاسلامية، ص٦١.

(٢) تفسير الطبري، ٥٩/١٣.

(٣) ينظر : التنشئة الاجتماعية للطفل : محمد الشناوي واخرون، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الاردن ٢٠٠١ ص٤٣.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢١٥/١٨.

عن المستورد بن شداد قال سمعتُ النبي ﷺ يقول: (مَن كان لنا عامل فليكتسب زوجة، وإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا، ومن لم يكن له مسكن، فليكتسب مسكنا)، قال: وأخبرت أن النبي ﷺ قال: (مَن اتخذ غير ذلك، فهو غالٌ أو سارق هذا)[١] .

وحث الرسول ﷺ على بناء الأسرة حتى لو لم يتحقق اليسر، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: (تزوجوا النساء، فإنهن يأتينكم بالمال)، وهو سبب للرزق وادرار المال [٢]، فالحديث يدل على البركة والخير من التزوج، فالدعوى الى الزواج والتكاثر امر ضروري، فهما اصل الاستقرار ونشر السكينة في المجتمع[٣] .

ثالثا : المحافظة على النظام الاخلاقي :

إن الإسلام يعد النكاحَ وبناءً الأسر وسيلة فعّالة لحماية الشباب والمجتمع من الفوضى الجنسية، لذلك اختصَّ الشباب بقسط أوفر من الدعوة إلى النكاح.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لنا رسول الله ﷺ: (يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومّن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)[٤] .

فعلى الشباب الذين توفرت فيهم القدرة على الزواج الإقدامُ عليه، لِمَا فيه من سلامة الدّين، وسكون النفس، وتحصين الفرج، وسلامة المجتمع من الانحراف الخلقي، وأمنٍ من التفسخ الاجتماعي، وإشباع الميل إلى الجنس الآخر عن طريق الزواج المشروع والاتصال الحلال، فإن لم يستطع الزواج، فعليه بالصوم، لأنه يقمع الشهوة، ويكبح جماح كل نزوة، ولقد اختص الرسول ﷺ الشباب، لأن توفر الشهوة فيهم تجعل حاجتهم إلى الزواج أشد، والضرر من إعراضهم أكبر، سواء بالنسبة لأنفسهم، باحتمال انحرافهم عن الفضيلة والطهر، أو بالنسبة للمجتمع الذي يؤدي فيه الإعراض عن الزواج إلى انتشار الفاحشة، وكثرة المنكرات، وتفشي الأمراض الخبيثة، وكثرة أولاد الزنا، فالزواج حماية لِمَا يحدث من الفوضى في المجتمعات الغربية من حوادث الاغتصاب للأعراض، وزيادة الأطفال الذين ولدوا سفاحًا من فتياتٍ لم يبلغن سن الرشد، والزواج هو أحد أسباب سلامة المجتمع الاسلامي[٥] .

ويمكن القول: إن سلامة الأسرة المسلمة من مفاسد المَدنية الغربية هي السببُ لسلامة المجتمع الإسلامي من الفجور، والإسلام حينما ركّز على تكوينٍ الأسرة، إنما يركز على تكوينٍ العلاقات الزوجية التي يحمي به المجتمع من بلاء الزنا واللواط،

(١) سنن ابي داود، برقم ٢٩٤٥، باب في ارزاق العمال، ١٣٤/٣ .

(٢) المستدرك على الصحيحين، برقم ٢٦٧٩، كتاب النكاح، ١٧٤/٢ .

(٣) ينظر : فتح القدير، ٢٤١/٣ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) ينظر : نظام الاسرة في الاسلام، ص٣٧ .

ليبقى المجتمع طاهرا، تزدهر فيه القيم، ونْصّان فيه الأعـراض والـحرُمـات، كما أن الإسـلام يراعي الشباب إذا كانوا في حاجة لمعونة الآبـاء، لتكوين الأسرة المنشودة، واعتبر الإسلام النكاح من حقوق الولد على والده إذا كان في سّعَة من المال وقد قال رسـول الله ﷺ: (مَـن ولـد له ولـد، فليُحسِن اسمه وأدبه، فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ ولم يزوّجه فأصاب إثمًا، فإنما إثمه على أبيه)[١].

فـالأسـرة هي السبيل الأسـاس لتربية الأولاد تربية إسلامية متمسكة بالأخلاق الفاضلة، إذ تكونٌ تربية أولادها هي مسؤوليتها حتى ينشأ الأفرادُ فيها متخَلّقَينَ بالأخلاق الإسلامية المستمدّة من الكتاب والسنة، والبعد عن الرذائل والدنايا والسفاسف التي نهى عنها الإسـلام، فالأسرة هي المسؤولة عما تورثه لأولادهـا من الأخلاق، ويظهر ذلك من خلال التزام أفرادها بتعاليم الإسلام، إذا كان أساس الأسرة وهم الأب والأم القدوة الصالحة، ملتزمين بشريعة الله عز وجل[٢].

رابعا: المحافظة على النظام الصحي للاسرة :

إن من أهداف الأسرة المسلمة وتكوينها صيانة الـشبـاب وقـوّتـهـم مـن أن يستنزفها الـزنـا والـلـواط والـعـادات السرية الـضـارة، ومـا يترتب عليها من انهيارات جسمانية ومعنوية، لا تخفى خطورتها، أو أن تفتكَ بها الأمراض الخبيثة، والأمراض الجنسية التي جعلها سبحانه وتعالى عقوبة لمن تظهرٌ فيهم الفاحشة، وتشيع فيهم المنكرات[٣].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن - وأعوذ بالله أن تُدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يُعلِنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم يُنقِصُوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدّة المؤونة وجَوْر السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطّروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيّروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم).

إن الـرسـول ﷺ قـال وهـو الـذي لا ينطق عن الهوى : إذا ظهرت الفاحشة فشا في الأمة أمراض لـم تكن في سابقيهم، وقد حـذّر من هـذه الأوبئة، فجميعٌ الأمراض الجنسية تنتقل وتنتشر عن طريق العلاقات غير المشروعة، أو بتعبير آخر : عن طريق الفوضى الجنسية، وخاصة عن طريق الزنا واللواط، ومن الأمراض مثل الأمراض الزهرية أو السرية، وهذه

(١) ينظر : مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة : الثالثة - ١٤٠٥ - ١٩٨٥م، ٢١١/٢ .

(٢) ينظر : علوم الدين : أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣٨٧/١ - ٣٨٨ .

(٣) ينظر: السلوك الإنساني في الإسلام : السيد محمد عبد المجيد عبد العالي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١، ٢٠٠٧م، ١٤٢٧ هـ، ص١٨٧ .

الأمراض تُوهن الجسم وتفتكُ بصحة الأولاد[١] .

وسلامة المجتمع المسلم تظهر من تماسكه وقوّته، وسلامته مرهونة بابتعاده عن الفاحشة التي تجلب الأوبئة الخطيرة، ومن ثمّ فإن الزواج هو الوسيلة التي تحقّق إشباع غريزة الجنس، لذا ميز الله أهل الإيمان بضبط الغريزة وتوجيهها التوجيه الصحيح قال الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المُؤْمِنُون : ٥ – ٧]، (أي: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، وما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحله الله له، فلا لوم عليه ولا حرج)[٢] .

ومسلك الفوضى إنما هو انحلال، وعدوان خطير يدمّر المجتمع، ويبث الوهن في أنحائه قال الله تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)[٣]، قول تعالى ذكره : وقضى أيضا أن (لا تَقْرَبُوا) أيها الناس (الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَة) يقول : إن الزّنْا كان فاحشة (وَسَاءَ سَبِيلا) يقول : وساء طريق الزنا طريقا، لأن طريق اهل المعصية، والمخالفين لأمر الله، مصيرهم النار[٤] .

المطلب الرابع: عوامل استقرار الأسرة وفق المنظور الاسلامي:

١- مبدأ الاحترام بين الزوجين :

إن الإسلام عقيدة تملا القلب من نور الله وخشيته، وتحمل المؤمن على العمل بمقتضى منهجه وشريعته ؛ وتغرس فيه أخلاقاً كريمة توطّد صلات المودة بين الناس، فتجعل علاقاتهم قائمة على الانسجام والتكامل لا على التنافر والتنازع .

وانطلاقاً من ذلك نرى أن للزوجين المسلمين حَقُّوق في الإسلام، يسعيان معاً بكلّ صدق واخلاص إلى تطبيق مبادئ هذا الدّين الخالد وقيمته العليا في علاقاتهما اليومية [٥] .

إن الزوج المسلم وكذا الزوجة المسلمة يعلم كل منهما منهج الإسلام الذي يحدّد مسلك العلاقة بينهما، ومادام الإيمان قد ملا قلبيهما، ومادامت خشية الله قد ملكت عليهما السمع والبصر والإرادة، فلابد أن يسعيا لأداء الحقوق لأصحابها، وتنفيذ الواجبات الملقاة عليهما بل وفوق ذلك، فإن الزوج المسلم يرى في أداء حقوق زوجته باب من أبواب طاعة الله والتقرُب إليه، وترى الزوجة المسلمة في قيامها بواجباتها تجاه زوجها، قربة من القربات تتقرّب بها إلى مرضاة ربّها، وكلٌ منهما يرى في الآخر أنه هديّة من الله تعالى ؛ فيحسن صنعاً بهديّة الله،

(١) ينظر : صورة الطفولة في التربية الإسلامية : صالح ذياب الهندي، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م ص٣٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٦٢/٥ .

(٣) سورة الاسراء : ٣٢

(٤) تفسير الطبري ٤٣٨/١٧ .

(٥) ينظر : دراسات في علوم القرآن : محمد بكر إسماعيل ؛ دار المنار، ط٢: ١٤١٩ه – ١٩٩٩م، ص٣٢.

لأن إكرام الهديّة من إكرام مهديها واهانة الهديّة إهانة لمن أهداها .

و يقول الإمام الصادق عليه السلام ((ثَلاثَةٌ اِن يَعلَمهنَّ المُومِنُ كانَت زيادَةً فى عُمُرِهِ وَ بَقاءَ النِّعمَةِ عَلَيهِ: تَطويلُهُ فى رُكوعِهِ وَ سجودِهِ فى صلاتِهِ وَ تَطويلُهُ لِجلوسِهِ عَلى طَعامِهِ اِذا اَطعَمَ عَلى مائِدَتِهِ وَاصطِناعُهُ المَعروفَ اِلى اَهلِهِ))[١] . فصناعة المعروف من أسباب البركة للرجل في رزقه وعمره .

وهكذا نرى أن العلاقة الطيّبة تنمو بينهما باستمرار، وتزدهر بعيداً عن كل ما يعكّر صفوها، بل إن الفتور لا يجد في هذا الجدار المنيع ثغرة ينفذ من خلالها إلى حياتهما، وأن حرارة المودّة تنبع من الإيمان الّذي ملك عليهما السمع والبصر والتفكير، وهذا الإيمان في ازدياد مستمر يوماً بعد يوم [٢] .

كانت السيدة الزهراء عليها السلام تعيش في بيت علي عليه السلام حياة ملؤها العشق والصفاء والمحبة وقد تحدثت في آخر لحظات حياتها مخاطبة زوجها، قالت عليها السلام: «يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني. عند ذلك خاطبها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: معاذ الله أنت اعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتي [٣] .

لما أخبر سبحانه عن حال من اتبع هداه وماله من الرغد وطيب الحياة في معاشه ومعاده، أخبر عن حال من أعرض عن الهدى ولم يتبعه ؛ فقال تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)[٤]، أي عن الذكر الذي أنزلته [٥] .

إن هذه المعاناة التي يعيشها كثير من الناس، إنْ هي إلا صفارة إنذار تنبّه الغافل عن الحق، لأن يثوب إلى رشده ويعود إلى جادّة الشرع الإلهي المُسعد، وفي الطرف الآخر حيث شرع الله وآدابُ الإسلام ؛ يتعلّمِ الزوجان سعة الصدر والصفح والمسامحة والإغضاء عن الهفوات، فإذا لمس أحدهما من صاحبه تقصيراً غير متعمّد في واجباته لاسيّما إذا كان بسبب ظروف قاهرة، تجده قد صبر وسامح وتنازل عن حقّه، وبذا يغلق الباب في وجه الخصومات والمنازعات، ويفسح المجال واسعاً لتعايش قائم على الوفاق والألفة والتعاون والوفاء، لا على الشقاق والنُفْرة والتعسّف والخيانة [٦] .

إنّ أسرةٌ تقوم علاقات الزوجين فيها على هذا النحو، هي أسرة جديرة بأن تظللها السعادة الدائمة،

(١) الكافي، ٤٩/٤ .
(٢) ينظر : الحلال والحرام في الإسلام : يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٢٢: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ١٨٢ .
(٣) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١ .
(٤) سورة طه : الاية ١٢٤ .
(٥) ينظر : التفسير القين (تفسير القران الكريم): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: مكتبة الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ ص٣٧٤.
(٦) ينظر: المشكلات التربوية الأسرية: خالد بن حامد الحازمي، الناشر: دار عالم الكتب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ٢٢ .

وأن تكون مرتعاً خصباً لتربية الأولاد على الفضائل والمكارم ؛ وبذا تكون قد أدّت رسالتها وحقّقت الهدف الأسمى من إنشائها ألا وهو إمداد المجتمع بأفراد صالحين؛ وإعدادهم لتحمّل المسؤولية، وليكونوا خَلْقَاً صالحاً يرثون منهج أسلافهم الصالحين، وبذلك تدور رحى الحياة البشرية في الاتجاه الصحيح، وتسير قافلة الحياة على الطريق الآمن السويّ لتصل بعد أن تقطع المسافة المحددة إلى السعادة الأبدية [١].

إن القاعدة الأساسية التي ينبغي أن تنطلق منها العلاقات بين الزوجين هي قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البَقَرَة : ٢٢٨].

فلكلٌ منهما حقوق وعليه واجبات، وينبغي أن يؤدي واجباته فلا يفرّط فيها، ولا يطلب زيادة على حقوقه متجاوزاً حدوده، أمّا الدرجة التي للرجال على النساء فهي درجة الإشراف والقوامة على شؤون الأسرة، وتحمّل المسؤولية المالية، وليست درجة تشريف أو تمييز بين حقوقه وحقوقها، وهذه الدرجة هي التي أهّلت الزوج لأن يُخَاطَب بأمر الله ويُستودعَ أمانته سبحانه حيث أمر الرجل قائلاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النِّسَاء : ١٩].

والْمَعْروفِ هو كل ما عرف حَسنه ونفعه، ونقيضه المنكر وهو كل ما استنكر إثمه وضرره [٢]

وقول الامام علي عليه السلام : (مَنْ ساءَ خُلْقُهُ مَلَّهُ اَهْلُهُ)[٣]، فهي إذن محصلة تصرفات الرجل تنعكس على طبيعة حياته مع اسرته.

ويقول الامام الصادق عليه السلام: (مَن حَسُنَ بِرُّهُ بِأَهلِ بَيتِهِ مُدَّ لَهُ فى عُمُرِهِ)[٤]، فحسن المعاشرة فيه راحة البال وبركة الزيادة في العمر كذلك.

***

(١) ينظر : السلوك الإجتماعي في الإسلام ، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢) ينظر : التفسير الواضح : محمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت ، الطبعة: العاشرة ، ١٤١٣ هـ، ١/ ٣٥٢. و تيسير العلام شرح عمدة الأحكام : عبد الله بن صالح آل بسام، مكتبة الصحابة ، الأمارات - مكتبة التابعين: القاهرة. الطبعة العاشرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م، ١٢٢/٢

(٣) تحف العقول ص ٢١٤ .

(٤) الكافي، ٨ .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة اللطيفة في انجاز هذا البحث لابد أن نقف قليل في خاتمه للحديث عن أبرز ملامحه التي سنحاول رسمها من خلال الآتي.

١- بين البحث أهمية الأسرة في بناء الشخصية السوية والمستقيمة في المجتمع إذ أن الأسرة العائلة نواة المجتمع التي تقوم على الزواج والصلة الحميمة، أي العلاقات بين الزوج والزوجة والآباء والأبناء والإخوة والأخوات.

٢- لقد أولى الإسلام أهمية كبرى للأسرة وذلك من خلال تأكيد النصوص المقدسة على إبراز المعاني الايجابية للأسرة، ومع أن الأسرة والعائلة لم يردا في القرآن الكريم بالمعنى المتعارف عليه الآن، إلا أنه قد تمت الإشارة إلى المدلولات الاشتقاقية للمفردة إذ ورد لفظ الأسر والأسرى والاسارى مرة واحدة في سورة الإنسان آية ٢٨ {نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} بمعنى خلقهم حسب قول المفسرين.

٣- وردت مفردة العائلة في القرآن لمعنى الفقر {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى [.]وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ} في حين لا ترد لفظتا الأسرة والعائلة في الحديث الشريف إلا بالنسبة لعيال مثل قوله ﷺ {الخلق كلهم عيال الله، أحبهم إلى الله أنفعهم لعياله}.

٤- القيام بواجب الإصلاح والتأديب يكون بإصلاح الزوج لنفسه اولابتقويم سلوكه والقيام بواجباته الدينية والقانونية، ثم بعد ذلك إرشاد وإصلاح الزوجة، ثم تأديب وتهذيب وتربية الأولاد.

٥- ان مبدأ الحقوق وأداء الواجبات في الاسرة هو الأساس الثاني الذي ينبغي أن تتحلى به الأسرة هو أن يعترف كل واحد من أفرادها ما له وما عليه، فالزوجة يجب عليها طاعة زوجها في المعروف وعليها حفظه في نفسها وماله.

٦- ان المحافظة على النظام الصحي للأسرة هو من أهداف الأسرة المسلمة وتكوينها صيانة الشباب وقوّتهم من أن يستنزفها الزنا واللواط والعادات السرية الضارة، وما يترتب عليها من انهيارات جسمانية ومعنوية.

***

المصادر

- القرآن الكريم.
١) احياءعلوم الدين : أبو حامد محمد الغزالي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧ .
٢) اسهامات الخدمة الاجتماعية في مجال الأسرة والسكان، السيد رمضان، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ١٩٩٩ م .
٣) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ .
٤) بناء المجتمع ونظمه، د. اسماعيل حسن عبد الباري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣ .
٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس،١٩٩٩.
٦) تحف العقول عن آل الرسول، ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، المكتبة الحيدرية، الطبعة الاولى.
٧) تفسير القران العظيم، ابي الفداء اسماعيل ابن كثير، دار المعرفة، بيروت - ١٩٨٩م .
٨) تفسير القران الكريم، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق : مكتبة الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٩٠.
٩) التفسير الواضح : محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت ، ١٩٩٣ .
١٠) التنشئة الاجتماعية للطفل، محمد الشناوي واخرون، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١ .
١١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام : عبد الله بن صالح آل بسام، مكتبة الصحابة ، الأمارات - مكتبة التابعين: القاهرة ٠ الطبعة العاشرة، ٢٠٠٦ .
١٢) جامع البيان في تفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن جريرالطبري ،دار المعرفة- بيروت ١٩٨٦م.
١٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب المصري، ط١، ١٩٥٢ م .
١٤) الحلال والحرام في الإسلام : يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ١٩٩٧م.
١٥) دراسات في علوم القرآن : محمد بكر إسماعيل ؛ دار المنار ،عمان- ١٩٩٩م .
١٦) السلوك الإنساني في الإسلام : السيد محمد عبد المجيد عبد العالي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ٢٠٠٧م .
١٧) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابي عبدالله القزويني ، دار ابن الجوزي- القاهرة - ٢٠١١.
١٨) سنن ابي داود، سليمان بن الاشعث ،دار ابن الجوزي- القاهرة ٢٠١١.
١٩) شرح أصول الكافي، مولى محمد صالح المازندراني، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢٠) صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد،، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

٢١) صورة الطفولة في التربية الإسلامية : صالح ذياب الهندي، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ٢٠٠٠.

٢٢) علم الأخلاق الإسلامية ،مقداد يالجن , دار عالم الكتب - الرياض، ١٩٩٢.

٢٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مكتب الصفا، القاهرة، ٢٠٠٣م .

٢٤) الفقه الإسلامي وأدلته، أ.د. وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨ .

٢٥) فلسفة نظام الأسرة في الإسلام، أحمد الكبيسي، مطبع الحوادث بغداد،١٩٩٠.

٢٦) كتاب(مؤتمر الأسرة الأول) دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

٢٧) لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت،١٩٦٩ .

٢٨) مجتمعات تتعرض للانقراض، فهمي هويدي، مجلة (المجلة)، عدد ١٠٥٥، ٢٠٠٠/٥/٦م.

٢٩) مجمع الزوائد ومتبع الفوائد، الهيثمي علي بن أبي بكر ، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧.

٣٠) مسند احمد بن حنبل، ابو عبدالله احمد بن محمد ،تحقيق شعيب الارنؤوط واخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت،١٩٩٠.

٣١) مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٥م، .

٣٢) المشكلات التربوية الأسرية : خالد بن حامد الحازمي ، دار عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٢م .

٣٣) المعجم الفلسفي، جميل صلبيا، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٣٤) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى الجلبي، مصر، ط٣، ١٩٧٠ .

٣٥) الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، لبنان، بيروت، ١٩٨٧.

٣٦) الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء، ترجمة سمير كرم، دار الطلبة، بيروت، ط١، ١٩٧٤.

٣٧) نظرة في علم الاجتماع المعاصر ، عبد الحميد الخطيب، مطبعة النيل، القاهرة ، مصر، ٢٠٠٢ م.

***